

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

درس تلفزیونی قنّاء سوریا - الدرس : 25 - الدعاء المستجاب

04-04-1995

أعزائي المشاهدين أختي المؤمنین السلام علیکم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فالمسلم حين یصوم نهار رمضان ، یصوم فمه عن الطعام والشراب وتصوم أعضائه وجوارحه عن كل معصية ، ثم یقوم لیلة رمضان ، مصلياً فتسمو نفسه ، وترقی ، وتسعد بربها ، عندئذ یكون الصائم قد أقترب من معاني لیلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر والدعاء مستجاب ، ممن استجاب لله ورسوله ولا سيما في هذه اللیلة قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60) ﴾

(سورة غافر: 60)

واستنباطاً من هذه الآية ، قال علیه الصلاة والسلام: الدعاء هو العبادة.

فالمسلم حينما يدعو الله عز وجل ، كما ینبغي إن يدعو ینطلق من أن الله تعالى ، یسمعه ، ولو ناده نداءً خفياً ، وأن الله تعالى رءوف به رحيم ، وأنه علیم به وخبير ، وأنه جل جلاله علی كل شيء قدير ، لهذا یعد من يدعو الله حقاً علی علماً ومعرفة به.

أيها الأخوة المشاهدون:

وما دام الصائم قد ذاق حلاوة القرب في شهر رمضان ، فهو سیتجه بالشكر لله عز وجل ، علی ما أولاه من نعم المعرفة والقرب وهنا یناسب أن یقول الله عز وجل عقب آیات الصيام:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) ﴾

(سورة البقرة: 186)

أيها الأخوة الكرام:

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي ﴾

ولم یقل وإن سألك لأن إذا تفید تحقق الوقوع ، بينما إن تفید احتمال الوقوع أي أن من لوازم معرفة الله عز وجل ، والوصول إليه والتنعم بقربه ، التوجه إليه وحده ، بالسؤال والدعاء ، وهذه هي حقيقة

التوحيد.

فقد قال عليه الصلاة والسلام: ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الصائم حتى يفطر والإمام العادل، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء.

ويقول الله عز وجل: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين.

أخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة.

أيها الأخوة المشاهدون:

لو تأملتم في آيات القرآن الكريم ، لوجدتم مادة السؤال ، ورد في جوابه قل.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾

(سورة البقرة: 219)

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) ﴾

(سورة طه: 105)

إلا في هذه الآية:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي ﴾

إلا في هذه الآية وحدها فلم يرد في جوابه قل ، أشعاراً بأنه ليس بين العبد وبين ربه في سؤاله له ودعائه إياه وسيط.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

يُرْشَدُونَ (186) ﴾

(سورة البقرة: 186)

سئل عليه الصلاة والسلام أقرب ربك فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه لأن البعيد ينادى ، والقريب يناجى ، فنزل قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

وكلمة عباد أيها الأخوة ، غير كلمة عبيد ، فكل من في الأرض من البشر عبيد لله عز وجل ، لأنهم مفتقرون في وجودهم ، وفي استمرار وجودهم وخصائصهم وحاجاتهم ، ومقهورون في هذا كله إلى الله عز وجل ، ولكن العباد هم الذين تعرفوا إليه ، والتزموا منهجه وتقربوا منه ، مبادرةً منهم وبمحض اختيارهم ، وبدافع من حبهم له فالعبد الذي جمعه عبيد هو عبد القهر.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46) ﴾

(سورة فصلت: 46)

بينما العبد الذي جمعه عباد ، هو عبد الشكر.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

أيها الأخوة المشاهدون:

ولكن لماذا قال الله عن ذاته [فإني قريب] ؟ قال [فإني قريب] ليشعر المؤمن أن الله معه في كل مكان ، وفي كل زمان ، وفي كل حال ، وأنه ما عليه إلا أن يدعو مؤمناً ومخلصاً ، والله يجيب دعوته لكن الإنسان لضعف إيمانه ، أو لضعف توحيده ، يدعو غير الله لذلك قال تعالى:

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾

(سورة فاطر: 14)

ولكن لماذا لا يستجاب الله أحياناً لمن يدعو ؟ أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال. قال عليه الصلاة والسلام: إن الرجل ليطلب السفر ، أشعث أغبر ، يمد يده إلى السماء ، يقول يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام وملبسه حرام ، وغذيه بالحرام ، فأنى يستجاب له. رواه مسلم في صحيحه.

لذلك قال الله تعالى:

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾

تؤمن به ، فتستجيب لأمره ، فيجيب دعائك ، ثم إن الله سبحانه وتعالى حينما ختم هذه الآية بقوله الكريم:

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) ﴾

أشار المفسرون إلى أنه لعلهم يرشدون إلى الدعاء المستجاب أو إلى سعادة الدنيا والآخرة، وحينما لا يستجاب الدعاء ، يعزى ذلك إما إلى فساد الداعي وانحرافه عن منهج الله، أو أنه ليس من الرحمة والحكمة ، أن يستجاب له ، يدخر هذا له في الآخرة ، فلو كشف الغطاء لاختترتم الواقع ، وعلى كل فحظ المؤمن من الدعاء الإجابة ، أو العبادة فالدعاء هو العبادة ، بل هو مخ العبادة ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

أيها الأخوة المشاهدون:

أرجو أن الله سبحانه وتعالى أن تكونوا قد أقمتم من هذه الموضوع وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى.